المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 25-12-2005 العـــدد : 1913
الصفحـات : 22 المسلسل : 142

الاستثمار في التعليم العالي: عسير أنموذجاً

مدخل إلى عنوان هذه المقالة: في بحر الأسبوع ما قبل الجاري، اضطررت إلى الانتقال والترحال ما بين ثلاثة مستشفيات في منطقة عسير لمتابعة حالة أحد الأقارب الطارئة الذي عولج من طوارئ الأزمة في مستشفى حتى عبر عنق الزجاجة وانتقل للثاني لمزيد من تشخيص الحالة، ثم إلى الثالث لإنهاء الرحلة الحرجة. على الأسرة الثلاثة في هذه المستشفيات وقف عليه، وللمصادفة، أربعة من استشاريي القلب السعوديين الذين يتناوبون اليوم، وبكل اقتدار وكفاءة، رحلة القلب. وهم أيضاً للمصادفة البحتة من خريجي كلية طب أبها التي كانت أيضاً، وبكل اقتدار وكفاءة، أجمل مشاريع التنمية التي غرستها الدولة مشكورة على رأس هذا الجبل الأشم. في حديث جانبي مع - زميل القلب - العزيز يقول: "جئت إلى أبها ذات يوم بعد الثانوية العامة بلا توجيه ودون الحد الأدنى من الإرشاد دخلت الكلية وهي في سنواتها الأولى، إذ كان الخيار الثاني أن أتوجه للباب الوحيد الآخر الذي خرج منه العشرات من معارفي إلى سلك التعليم، ولم أكن لأتغافل على هذا السلك أو أختال عليه، ولكنني كنت أسأل نفسي ذات السؤال: هل كتب على - الجبليين من أمثالي ألا يكونوا شيئاً إلا عسكراً أو مدرسين؟!

اليوم تجني منطقة كاملة ثمرة المصادفة التي كانت وراء إنشاء كلية الطب قل ربع قرن، إذ إنه عدا عن تخريج طبيب في كل قرية، بل ومن كل عائلة بالتقريب، تضخ هذه الكلية في المشافي المختلفة بعسير ما يزيد عن ستين استشارياً سعودياً من هيئة التدريس بالكلية في مختلف التخصصات العامة أو بالغة الدقة.

هنا يؤتي الاستثمار في التعليم أكله ومن كان في شك من الأرباح المضاعفة التي نجنيها اليوم من رأسمال - قرار الطب - فليتخيل أبها، وكل عسير، بدون هذه الكوادر التي ترفع اليوم صلب المنظومة الصحية الحكومية بالمنطقة. إن كانوا من أساتذة الكلية أو من خريجيها ونحن نحتفل هذا العام بالدفعة العشرين.

اليوم لا أعلم كيف كانت الجرأة التي استجمعت قبل ربع قرن وأكثر للمغامرة بإنشاء كلية للطب في أبها ونحن الذين نعلم أنه قبل القرار بأربع أو خمس سنين وافقت جامعة الملك سعود على فتح فصل تجريبي لطلبة كلية التربية واشترطت أن ينتظم الطلاب في الفصل الدراسي التالي مباشرة في الجامعة الأم بالرياض. في ذات الفترة كانت رئاسة تعليم البنات - تناور بعدم وجود مكان مناسب لفتح كلية للبنات قبل أن يعرض عليهم - الأمير خالد الفيصل - في واقعة شهيرة منزله الخاص كمقر لهذه الكلية ومازال محضر الاتفاق مدوناً بالأرشيف لمن أراد أن يطلع عليه.

اليوم، تبرهن عسير، أن قرارات الجرأة والمغامرة تثمر أحياناً أفضل من تلك التي تستند إلى الأناة والدراسات واللجان التي تقتل الأفكار.

في مطلع عام 1419هـ جاء الملك عبدالله بن عبدالعزيز - يومها ولي العهد - إلى عسير في زيارة تاريخية ووقف على أحداث البرنامج ليضع حجر الأساس لفرع جامعة الملك سعود. آنذاك فاجأ خادم الحرمين الشريفين كل الحضور بقراره بإنشاء جامعة جديدة في كلمة قصيرة قد لا تتعدى ثلاث جمل، وربما كانت هذه الجمل الثلاث وحدها أهم مشروع تنموي على كل تاريخ الجبل مما يجعلها تفوق كل الخطب العصماء وكل أوراق اللجان وإضبارات الدراسات التي لو عهدنا الأمر إليها لما زالت مثل هذه الجامعة اليوم مسودة عمل.

"اليوم أيضاً تحتفل الجامعة بتخريج دفعتها الأولى من الطالبات في تخصصات هندسية وحاسوبية بالغة النوعية في مسيرة تعليم المرأة وغداً، بعد عامين، ستحتفل بباكورة أول دفعة من الطبيبات السعوديات..."

خلال سبع سنوات فقط يتصاعد المؤشر الذي جعل من عسير على رأس المناطق السعودية بلا استثناء في مؤشرات التعليم العالي وبرقم قياسي غير مسبوق. الأربع كليات القديمة صارت اليوم اثنتين وعشرين كلية كاملة لجامعة بجسد من ثلاثة أفرع. وعدا عن كلية الزراعة، لا يوجد اليوم في جامعة سعودية كلية واحدة لا تظير لها في الجامعة الوليدة. من عشرة أقسام أكاديمية أو ما حولها قفز المؤشر إلى مئة قسم أكاديمي أو حوله في الجامعة الوليدة أيضاً التي شهدت قفزة هائلة في أعداد

المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 25-12-2005 العـــدد : 1913
الصفحـات : 22 المسلسل : 142

علي سعد الموسى *

الطلاب بنسبة تناهز اليوم سبعة أضعاف الرقم القديم. كل هذا في سنوات سبع جاءت بعدما يقرب من ربع قرن من ولادة آخر جامعة من جامعة الملك خالد. وكما أن الجامعات أفكار أكاديمية معرفية، إلا أنها في المحور الثاني محور تنمية اقتصادية ذلك أن الجامعة الوليدة ستبث في السنوات الخمس القادمة إلى اقتصاديات المنطقة ما يقرب من سبعة مليارات ريال هي جناحا الميزانية والمشاريع في مدينتها الجامعية التي ستكون وحدها محوراً حضرياً جديداً في تخطيط المنطقة على أننا لا نتحدث عن قفزة كمية بعيدة عن الجانب النوعي فلربع قرن كان فرعا الجامعتين القديمتين يبثان في سوق العمل ما يقرب من 90٪ من جملة الخريجين في تخصصات نظرية بحتة تتزاحم على فرص محدودة في ذات السوق. اليوم تحتفل الجامعة بتعادل الرقم في معادلة أعداد الخريجين بين التخصصات النظرية والعلمية والتطبيقية وهي مرت بعمليات حذف واضافة وووجهت بضراوة شديدة تدفعها روح النقابة التي وقفت في وجه التغيير الحتمي دون عذر جوهري أو استثناءات مقبولة. اليوم أيضاً تحتفل الجامعة بتخريج دفعتها الأولى من الطالبات في تخصصات هندسية وحاسوبية بالغة النوعية في مسيرة تعليم المرأة وغداً، بعد عامين، ستحتفل بباكورة أول دفعة من الطبيبات السعوديات حين أخذتنا الجرأة والمغامرة لفتح هذا الباب التعليمي أمام المرأة بعد أن ظل فكرة وئيدة طوال ربع قرن، ذات الجرأة والمغامرة هي التي ستفتح أمام المرأة كل الأقسام المتاحة أكاديمياً بالجامعة وللعلم فإن في أرقام عسير الجامعية، بالجامعة وكليات البنات، من الطالبات ما يفوق عدد الطلاب بمقدار الثلث، وخلاصة القول إن هذه الأرقام النوعية والكمية غير المسبوقة زمانياً أو مكانياً في مؤشراتنا الوطنية كلها بلا استثناء كانت بهمة رجال وردوا بالمقال أو لم يردوا ومع هذا لابد من التنويه هنا إلى شخصيتين: الأولى، شخص معالي وزير التعليم الذي لم يصدر من مكتبه مسودة قرار إلى مجلس التعليم العالي إلا وكان فيه فتح كمي ونوعي إلى الجامعة الوليدة خلال السنوات السبع الماضية. الآخر هو معالي مدير الجامعة الذي لم يسجل كل تاريخ التعليم العالي الوطني شخصية واحدة استأثرت بمثله بهذه المؤشرات المتسارعة. أكتب هذا للتاريخ تقديراً لقرارات ورجال ومرحلة.

* أكاديمي وكاتب سعودي
almosa@alwatan.com.sa